مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 23 العدد: 1 السّنة: الثّلاثيّ الأوّل 2022 ص: 261-276

الشّعر الشّعبي: إشكالية اللغة بين الرّفض والقبول...؟

Poésie populaire : le problème du Langage entre rejet et acceptation ?

أ. يوسف العارفي‡

تاريخ الاستلام: 20 05 2020 تاريخ القبول: 08 08 2020

ملخّـــص: إنّ اللغة وسيلة للتواصل بين النّاس، وجدت بوجود الجماعة، فأخذت أشكالا مختلفة، وتطورت استجابة لتطور حياة الجماعة، إذ تعبر عن أفكار وتطلعات وأحاسيس وانشغالات أفرادها، فتخطّت اللغة وضعها الطبيعي كوسيلة تواصل، لتصبح ترجمان الذّات الإنسانية، ومقياس رقيّ المجتمعات وثقافتها.

فالجدل القائم حول لغة الشعر الشعبي، باعتبارها لغة شعبيّة، إذ اختلفت آراء الدّارسين والنّقاد حولها: فمنهم من يعتبرها لغة أصيلة راقية، تواكب المستوى الثقافي لهذه الجماعة، بالمقابل هناك من يصف هذه اللغة بالشعبيّة والعاميّة، تعبر عن انحطاط المستوى الثقافي للمجتمع، وبين الرأيين، يظهر رأي ثالث يوفّق بينهما.

إنّ دراسة هذه الظاهرة الثّقافية اللغوية، يحتّم علينا تناول عناصر مختلفة، لتوضيح علاقة الشّعر الشعبي بالثقافة الشعبيّة، ثمّ علاقة اللغة بهما.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي ; إشكالية ;اللغة ; الرّفض ;القبول.

Abstract : Article Summary:

he language is a means of communication between people, found in the existence of the group, and developed in response to the development of the life of the group, expressing the ideas, aspirations, feelings and concerns of its members, the language went beyond normal as a means of communication,

‡ جامعة مولود معمري، تيزي-وزّو، كلية اللغات والآداب، الجزائر، البريد الالكتروني: youceflarfi79@gmail.com (المؤلّف المرسل)

becoming the human self-translation and the measure of the advancement of societies and culture.

The controversy surrounding the language of popular poetry, as a popular language, as different opinions of scholars and critics around them: some of them consider the language of authentic high-class, keeping pace with the cultural level of this group, in contrast there are those who describe this language popular and illiteracy, reflect the decline of the cultural level of society.

The study of this linguistic cultural phenomenon requires that we address different elements, to clarify the relationship between popular poetry and popular culture.

Keywords: Popular Poetry; Problematic; language; Rejection; acceptance.

مـقدمة: أثارت اللغة الشعبيّة التي ينظم بها الشعر الشعبي جدلا كبيرا حولها، فهناك من يرى بأنّ شيوعه وجمهوره الواسع باختلاف مستوياته الثقافية، كونه نتاج ثقافة المجتمع، واتهموه بالشعبويّة وأنّه شعر العوام من النّاس، فهل مردّ ذلك إلى المستوى الثقافي للمجتمع ؟، وبالمقابل نجد نقيض هذا الرأي الذي يعتبر الشعر الشعبي لسان حال الأمّة، وأنه الشّكل التعبيري المفضّل لدى الشعوب، بل الأنسب لكلّ الأزمنة، ولكلّ المستويات الثقافية لأفراد المجتمع ؟، سنبرز في هذا البحث مدى صحة ومصداقية الرأيين، معتمدين الخطّة التّالية:

أولا: تمهيد: مفهوم الشعر الشعبي وخصائصه الفنية واللغوية.

ثانيا: مفهوم الثقافة الشعبية.

ثالثا: علاقة الشعر الشعبي بالثقافة الشعبية.

الخـاتمة: عرضنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

أولا: – مفهوم الشعر الشعبي: احتاج الإنسان منذ الأزل إلى وسيلة تعبير تمكنه من نقل ما يختلج في صدره إلى الآخرين، ليتفاعل معهم ويشاركهم حياتهم، فتعددت أشكال التعبير وتنوعت، فبرزت مع تطور التواصل اللغوي بين الناس أجناس أدبية مختلفة، كالشعر والرواية

والمسرح...، والشعر الشعبي شكل من أشكال الأدب الشعبي المنتسب إلى الطبقة الشعبية إنتاجا (المؤلف) وجمهورا (المتلقي)، فالشعر الشعبي جزء من التراث الأدبي الشعبي، وهو من أهم الأساليب الأدبية التي يعبّر بها الإنسان عن واقع مجتمعه، ويؤرخ بها لشعبه أو لتاريخ أمّته، بل تعبير صادق عفوي تلقائي عن مشاعر وأحاسيس وعواطف الإنسان ورغباته وهمومه يبوح بها إلى من حوله، بلغة شعبيَة بسيطة تفهمها كل فئات وطبقات المجتمع (المتعلم والأمَيَ)، وقصائده تحمل رسائل تختلف مقاصدها وأغراضها.

لكن، اختلفت الآراء حوله (الشعر الشعبي)، كونه شعر العامّة لا يرقى إلى مستوى الطبقة المثقّفة من الشّعب؟

ورداّ على أصحاب هذا الرأي، قال بعض المهتمين والدارسين: هو جوهر الإبداع، بل انعكاس للحياة الإنسانية، ويستحيل أن يكون هناك أو نتصور إبداعًا أدبيا إنسانيا خالصا دون الأدب الشعبي، لأن الإنسان قبل أن يعتمد الرسميات في إبداعه فهو إنسان شعبي بداخله كوامن الإبداع، بل الأدب الشعبي أصل ومنبع الإبداع مهما كان نوعه، فهو أدب يحمل في جوهره التراث والعادات والتقاليد، عريق ضارب في عمق تاريخ الإنسان يصاحب تطورات الشعوب، وتتغير مدلولاته ومفاهيمه بتغير الزمان والمكان، ويرى توفيق زياد: " أنَ أكبر الفنانين والشعراء ورجال الفكر اللذين قدموا إنتاجا خالدا، كان سرهم الأساسي ارتباطهم بجماهير الشعب، والنظر إلى تجربتهم الذاتية كجزء من التجربة العامة، وباستطاعتهم التعبير بانسجام عن ظروف العمل والحياة وكفاح الناس المحيطة بهم "[1].

فالشعر الشعبي هو نتاج عامة الناس (الشّعب) أو بالأحرى فالشاعر الشعبي هو ابن بيئته، فمن السّهل عليه أن يعكس أسلوب حياة شعبه وتفكيره كما يعكس ثقافة مجتمعه، لأن أشعاره تعبّر عن الواقع المعيش، فهو كما يقول يوري سوكولوف: « صدى للماضي، ولكنه- في نفس الوقت – صوت الحاضر المدوّي »[2]، وهناك من عرَفه " إنَ الشعر الشعبي يطلق على كلَ كلام منظوم من بيئة شعبه بلهجة عامية، تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب وأمانيه، متوارثا جيل عن جيل عن طريق المشافهة، وقائله قد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثل المتلقي أيضا "[3]، وأورد محمود ذهني هذا التعريف الذي يشمل كل مصطلحات الشعر الشعبي بقوله: « الثقافة الجماهيرية بسفح الهرم، وعند القمة يوجد الأدب الرّسمي،

وعند القاعدة يوجد الأدب العامي، أما الشعر الشعبي فهو ذلك الذي يستطيع أن يتخلص من القمة هابطا ليملأ السفح كله، أو ذلك الذي يستطيع أن يرتقي من القاعدة صاعدا ومنتشرا على السفح بأكمله »[4]، فيتبادر إلى أذهاننا ما هو مدلول كلمة الشعبي التي يتصف بها هذا النوع من الشعر ؟.

فصفّة الشّعبي جاءت لتخصّص الكلمة الأولى (الشعر)، وتحصرها في نطاق الشعب، وهي صفة مشتقة من الاسم الموصوف (الشعب)، وتحيل إلى مفهومين مختلفين:

أ–مجموع النَاس يشتركون في علامة مماثلة، الدين، الدولة، الأصل، الأرض.

ب–فريق من الأمّة المعبر عن النقيض من الطبقات الأخرى، بتوافر الزيادة في أحد الشقَين: الثروة أو المعرفة.

أمّا إذا تناولنا الشعر الشعبي كإبداع فني فإنّه نص يتميّز بالغنى اللفظي، غزير المعاني، فالدّال الواحد يحمل مدلولات عديدة تحيل إلى مفاهيم تلتقي فيها أعراف المجتمع، ويقبل بها المجتمع كلغة شعبية مألوفة، ونفس الشيء عن المستوى البياني والبلاغي، فنصوص الشعر الشعبي تزخر بالصّور البيانية (تشبيه، استعارة، كناية، مجاز...)، التي تدل على سعة خيال الشاعر الشعبي وغزارة أفكاره وثراء لغته ورقيّها التّصويري للأشياء، وذوقه في التعبير عن سمو المشاعر والأحاسيس والانفعالات كمكونات للذّات، وشدّة الوعي بحاجة هذه الذات إلى متنفّس يعكس واقعها المعيش

ومن خلال التعاريف والآراء السالفة الذكر حول الشعر الشعبي، نخلص إلى أنَ الشّعر الشّعبي ذاكرة الشعوب ولسان حالها والمرآة العاكسة لها، وأغراضه كأغراض الشعر الفصيح، ومن التسميات والمصطلحات التي تنسب إليه:

أ– **الشعر الملحون:** شاع مصطلح الشعر الملحون في بلدان المغرب العربي، وخاصة ليبيا وتونس الجزائر، وهذا راجع إلى الهجرة الأندلسية التي أثرت في الشعر الشعبي عن طريق الأزجال التي تنظم هي الأخرى بلهجة العاميّة، ودون مراعاة القواعد النّحوية والصّرفية، فالشّعر الحضري الذي تحدثه الموشحات والأزجال كان بلغة مستعجمة تختلف عن لغة الشعر البدوي الذي تطغى عليه اللهجة العامية الممزوجة بتراكيب عربية، والزجل والشعر الملحون

يقول المرزوقي : « إنّ الشعر الملحون الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم، فهو أعمَ من الشعر الشعبي، إذ يشتمل كل شعر منظوم بالعامية، سواء معروف المؤلف أو مجهولة... وعليه فوصف الشعر الملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو من لحن يلحن في كلامه أي أنّه نطق بكلام عامي أو بلغة عامية غير معربة"[5].

فهو كل شعر نظم بالعامّية، أو هو كلّ شعر يرتبط باللّحن (الخطأ في اللغة أو الإعراب)، أو يرتبط بالتلحين (الغناء)، بينما يفضّل اتجاه من النّقاد والدّارسين تسميته بالشعر الملحون، وفي هذا الشّأن يقول عبد الله الركيبي: " لمَا كان الشَعر الملحون في معظمه تقليدا للقصيدة المعربة، فإنَ الفرق بينه وبينها في الإعراب، فهو إذا من لحن يلحن في الكلام، إذ لم يراع الإعراب والقواعد اللغوية المعروفة "[6] وشعراء الشعر الملحون يمتلكون ثقافة تقليدية كبيرة، مكنتهم من تمثيل الشعب في كثير من المناسبات والفترات التي غابت فيها الجهات الرسمية، كما فعل الشّاعر " الأخضر بن خلوف " يمدح المجاهدين الذين خاضوا معارك المقاومة الإسبانية حول موانئ المنطقة الوهرانية، إذ يقول:

بافارس من ثمّ جيت اليوم غزوة مزغران معلومة

ياعجلانا ريض الملحوم رأيت أجنان الشلو مشلومة

ياسايلني عن طراد اليوم قصة مزغران معلومة[7]

ب- الشّعر العاميّ: كونه يوظف اللغة العامية (الدارجة)، فهو غير فصيح، ونتاج بيئة عوام النّاس، ينسب الشعر العامي إلى اللغة التي قيل بها، وهي اللغة المحكية عند عامة الناس، بمعنى اللغة العامية، والعامية هنا هي لغة الكلام والتخاطب والتعامل والتعبير عن الحياة، والشاعر دوما يخاطب جمهوره بلغتهم لأن اللغة وخاصة لغة الشاعر فهي: "تخضع في كل مكان وزمان لذوقه وتكوينه الثقافي وتأثير العصر فيه، كما تخضع أيضا لعبقريته وتجربته الشعرية، فاللغة التي نفيها ليست مجرد ألفاظ تقال، ولكنها بناء حي وتعبير كامل عن المضمون[8]، وهناك من الشعراء الشّعبيين من تأثّر بالشعر الفصيح فكتب على منواله كقول " المنداسي ":

سرور الدهر مقارنة قالـــوا بالحـــزن إن كنت فطين خذ منها حذر شديد

يظهر لك في اليمين منه تاج الحسن من البــيريز في شماله فيه حديد

أخذها من قول الشاعر العربي:

سرور الدهر مقرونا بحزنه فكن منه على حذر شديد

ففي يمنـــاه تاج من نضار وفي يسراه قيد من حديد[9]

ج – **الزجل:**

لقد حملت الفنون الشعبية القولية وغيرها من خلال حامليها وورثتها في الماضي والحاضر همَا شعبيا، ومن هذه الفنون القولية الزجل، وكل ما يعرف عن الزجل هو أنه " نظم كلام العوام على الإيقاع، وأشكاله العديدة لا تعد، وهو شعر بلسان الجمهور، يصور العواطف والمعاني التي تمر بالمخيلة، بريشة اللسان على نسيج الكلمات العامية المنتقاة وإرسالها حملا ذات نيرات موسيقية شعبية" [(10)]. ويعلّل بعض الباحثين في الأدب الشعبي عودة الشعر الملحون من جديد في كل من المغرب الأقصى والجزائر على وجه الخصوص بسبب الهجرة الأندلسية التي أثرت في الشعر الشعبي عن طريق "الأزجال"، التي تنظم هي الأخرى بلهجة عامية، ومن ثمّ يكون الشعراء الشعبيين قد اهتموا بفن الزجل وقلدوه في نظم القصائد المتعددة المضامين منها القصيدة البدوية.

ثانيا : **مفهوم الثقافة الشعبية:**

يجمع هذا المفهوم بين كلمتين مركبتين (الثقافة–الشعبية) وحولهما تختلف المفاهيم والتعريفات، ولقد أشرنا إلى مفهوم الشعبية فيما سبق، وسنتطرق إلى مفهوم الثقافة لغة واصطلاحا بإيجاز :

1 –مفهوم **الثّقافة عامّة:**

اختلف الباحثون والدارسون حول ماهية الثقافة وقيلت فيها تعريفات وفق رؤى وزوايا مختلفة، فتشعبت المفاهيم حولها واختلفت، وقد يستحيل التوافق على مفهوم شامل أو موحّد لها، وإنّما كلّ المحاولات تنطوي تحت مبدأ التوفيق بين مختلف التعاريف والمفاهيم التي قيلت فيها، حسب معايير بيئية واجتماعية وعقائدية.

أ- مفهوم الثّقافة لغة:

الثّقافة فعلها الثلاثي (ثقف)، بمعنى إقامة درء الشّيء، وللثقافة في اللغة العربية معانٍ كثيرة منها كأن يقال: « ثَقّفتُ القناة إذا أقمت عوجها»، و« ثقفته بالثّقيل أقمت المعوج منه»[11]، وقد ورد عند العرب بأن الثّقاف هي حديدة تسوّى بها الرماح،. ... خلافا أي لاعبة بالسّلاح، وثقاف ككتاب: الخصام والجلاّد، وتفقد الرجل في الحرب أو ركته وتقفته طرقت به، ومن معاني الثقافة عند العرب السّرعة في الفهم والتعلم والتأدب، والرجل الثّقيف بمعنى الرّجل الحاذق ومن هنا تحصله إلى آن الثقافة عند العرب حسب دلالاتها اللغوية هو إصلاح الاعوجاج والآلة التي يسوّى بها السّيف أو الرّماح وهي سرعة الفهم والتعلّم والتأديب، فبات من الممكن حملها عل تهذيب السلوك والتصرفات وأسلوب الحياة لدى الأفراد في مجتمعاتهم، فهي المعنى الشامل للإصلاح والفطنة والسّداد..

ب - المعنى الاصطلاحي للثّقافة:

وظّفت كلمة الثقافة كمصطلح عند العرب، دون مصطلح محدّد الدلالة، فهل يمكن تحديد مفهوم شامل لمعنى الثقافة عند العرب ؟.

ورد في طبقات فحول الشعراء: « وللشّعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصّناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان»[12]، والمعاني القريبة للثقافة في هذا السياق: الحذق والفهم.

واختلفت معاني الثقافة عند العرب وبداية العهد الإسلامي، وهناك من استعملها تشبيها بما يقابلها عند الغرب بلفظ culture، وهذا ما ورد على لسان سلامة موسى: « كنت أول من أفشى لفظة الثقافة في الأدب العربي الحديث، ولم أكن أنا الّذي سكّها. ....، فإنّي انتحلتها من ابن خلدون، إذ وجدته يستعملها في معنى شبيه بلفظ culture الشائعة في الأدب الأوروبي»[13].

ويتجلى لنا أنّه الثقافة في الفكر العربي قدمها لم يكن لها مصطلح أدلة محدّدة، وليست بالمفهوم الحديث الشاسع اليوم، الذي يعني شمولية الثقافة لمختلف تطورات جوانب الحياة ماديا وسلوكيا وأنماط المعيشة، إلا أنه بوجود بعض التّعاريف نحاول الإدماج بين مختلف

المفاهيم للثقافة كما قامت به دائرة المعارف البريطانية التي تعرف الثقافة بأنها: «أسلوب الحياة التساندي للمجتمع»[14].

أما مالك بن نبي فيعرفها بأنّها: «مجموعة من الصّفات الخلقية، والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»[15].

تنوعت واختلفت مفاهيم الثقافة عند الباحثين والمهتمين في هذا المجال، إلا أنها تجتمع كلها في تعريف واسع شامل بأن الثقافة تعتبر عن شخصية الإنسان وزاده المعرفي.. الأدبي وطريقته في الحياة، فهي كل الأشكال التعبيرية المنطوقة والتي تختزنها الذاكرة، الشعبية وتشمل هذه الثقافة الشعبية: الموروث السردي (الحكايات، والخرافات...)، والحكم والأمثال الشعبية وغيرها من فنون التعبير الأخرى[16]، بينما ويسلر wisler يرى بأنها:« كل الأنشطة الاجتماعية في أوسع معانيها مثل اللغة والزواج ونسق الملكية والإتيكيت والصناعات والفن»[17]، وكلّ تعريف أو مفهوم للثقافة له فعليّة، نظرًا لكون مفهوم الثقافة يستوعب مختلف الرؤى، ويتقبّل كلّ التأويلات والتفسيرات.

وبعد عرض أهم الآراء والمفاهيم حول الثقافة، فما هو المقصود بالثقافة الشعبية؟

2-مفهوم الثّقافة الشّعبية: يرى الكثير من المهتمين والدّارسين بأنّ الثّقافة الشّعبية في كلّ مراحل تطورها كان يقصد بها ذلك الكم من الخبرات والمعارف والسلوكيات المتداولة المنتشرة بين النّاس شفاهة ورواية بلغة عامية، وبيئتها الأساسية عوام أو عامة النّاس، فهي حسب عبد الباسط عبد المعطي: « إنّها تعبير عن بساطة الحياة إنتاجا واستهلاكًا وأنّ مبدعيها مجهولون»[18].

وبالمقابل هناك من يرى بأنّ الثقافة الشعبية هي مقابل الثقافة الرّسمية وهي حسب سانتيف "saintyve": « ما يمارس أو ينتقل بين الشعب مع استيعاب كلّ ما تقوم السّلطة القائمة بفرضه أو تعليمه»[19]، فالثقافة الشعبية تشكل المعالم الأصلية والأساسية للشّعب، إذ تعكس شخصيته الحضارية، وعرّفها (ف. بواز f.boos) على أنها: « الثقافة تضم كلّ مظاهر

العادات الاجتماعية لجماعة ما، وكلّ ردود أفعال الفرد المثابرة، بعادات المجموعة، التي يعيش فيها وكلّ منتجات الأنشطة الإنسانية التي تتحدد بتلك العادات»[20].

يتضح لنا جليّا من خلال هذه التعريفات صعوبة تحديد مفهوم بسيط ودقيق لمفهوم الثقافة الشعبية، فكلّ دارس يعرفها من زاوية معينة (نفسية، اجتماعية، معرفية، منهجية..) ووفق رؤيته الخاصة به، إذ هذه الثقافة الشعبية تعبر عن هويّة كلّ منطقة أو جهة معيّنة، فهي ثقافة شعبية محليّة، تصوّر الجانب الفكري والمادي للجماعة الشعبية، فهي. ..... الزمان والمكان واللسان[21]. فتحفظ بذلك الاستمرار للجماعة الشعبية، والمحافظة على خصوصيتها.

إنّ الحفاظ على هذا الموروث الشعبي هو حفاظ على الذاكرة الجماعية للشّعب، إذ تتأثر هذه الجماعة الشعبية بأفكار وقيم وسلوك ذلك المخزون الثقافي المتراكم عن الأجيال المتعاقبة، التي أسهمت في هذا الإنتاج الإنساني والاجتماعي والتاريخي المرتبط بها يحيط به من حوله متأثرا ومؤثرا مشكّلا الثقافة الشّعبية لمجتمع ما باعتبارها: « ذلك الكل المركب المشتمل على المعارف، والمعتقدات والفن، والقانون، والأخلاق، والتقاليد، وكلّ القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع»[22].

ثالثا: علاقة الشعر الشعبي بالثقافة الشعبية:

يثار جدل كبير حول علاقة الشعر الشعبي بالثقافة الشّعبية لمجتمع ما، وهو جزء منها، فهناك من يرى بأنّ شيوع الشعر الشعبي وجمهوره الواسع باختلاف مستوياته الثقافية، وتأثيره البيّن على ثقافة المجتمع، يرجع إلى عامل ضعف المستوى الثقافي للمجتمع، فما هو دليلهم على ذلك؟

ذهب أبو القاسم سعد الله إلى القول بشأن هذا الموضوع: «بل أنّ ضعف الثقافة. . هو الّذي ساعد الشعر الشعبي على الانتشار والذيوع، وبذلك يكون رواج الشعر الشعبي دلالة على ضعف الثقافة الأدبية في البلاد، فهو من النّاحية الجدلية المحضة، ضد الثقافة ودليل على انحطاطها »[23]، أراد بقوله هذا تبرير شيوع الشعر الشعبي وانتشاره الواسع بين طبقات الشعب، والتفاف الجماهير الواسعة حوله، كونه شعر غير المثقفين، وأنّه فرض وجوده في

ظلّ غياب الشعر الرّسمي الفصيح، ممّا يؤكد ضعف المستوى الثقافي للشعب، فكان ردّ الطرف الآخر رافضا لهذا القول، فماهو تبريرهم وحجّتهم ؟.

دافع أصحاب الاتجاه الرافض لوصف الشعر الشعبي بالانحطاط الأدبي، وأنّه شعر غير المثقّفين بقولهم: أنّ الشعر الشعبي هو وسيلة تعبير لدى مجتمعات تراه الأنسب والأبلغ للتّعبير عن آمالها وطموحاتها وتطلعاتها، بل المناسب لكل الأزمنة، ولكلّ المستويات الثقافية لأفراد المجتمع،، فأبو راس يقول: « وما في الملحون من بأس، فإنّه في هذا العصر لسان الكثير من النّاس »[24]، ناهيك عن ذلك فهو الأقرب إلى الحقيقة من الشعر الرّسمي الفصيحكونه يعبر بصدق عن حقيقة ثقافة المجتمع وواقعه المعيش، بغض النظر عن لغة النصوص، فليس من الضروري أن تعبر اللغة عن المستوى الثقافي، وإلاّ كان ظلما للغات فصيحة على حساب لغات فصيحة أخرى، بل اللغة وسيلة تعبير يختارها المبدع بما يناسب جمهوره، فالثقافة عند مالك بن نبي هي: « مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته »[25]، فمالك بن نبي يفصل بين الثقافة واللغة والعلم، فتدنّي الثقافة في مجتمع يسوده الشعر الشعبي قول باطل، وإلاّ كيف نفسّر ظاهرة مجتمع راق، لغة التواصل بين أفراده هي اللغة الشعبية، فربّما المقصود بالمستوى لغة النّص من الجانب الفنّي والدلالي، وليس ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر الشعبي بصفته لسان حاله، وإذا كان المقصود بالشعر الشعبي أنه الشعر المعرب، فكيف نفسر وجود أشعار معربة رسمية اصطبغت بالصبغة الشعبية مثل ما هو الحال عند أحمد شوقي أشعاره المغنّاة، وأشعار مفدي زكريا الثورية[26]، ومن الغريب وصف الشعر الشعبي بأنه شعر موجه لغير المثقفين، فكثيرا ما نجد الشاعر يختار لغة شعبية لشعره وهو يحسن اللغة الفصيحة، إنّما اختياره هذا يعود لقناعته بأنّ اللغة الشّعبية أكثر استهواء للجمهور، والواقع يؤكد ذلك في أوساط المتعلّمين فمنهم من يفضّل اللغة الشعبية كوسيلة تعبير لديه، وتعمل فيه مالا تعمله اللغة الفصحى من جاذبية وتأثير، بل الأكثر من ذلك الاختلاف والتباين الواضح في تحديد مصطلح الشعبية في حدّ ذاتها، فالشعبية كمصطلح تعددت حوله التعريفات والمفاهيم لدى الدّارسين، التي يرى التلي بن الشيخ على أنها: «

ظاهرة اجتماعية وثقافية تتغيّر بظروف المجتمع، وتكتسب مقوماتها من واقع حياة الناس...من هنا، ينبغي أن ننظر إلى مفهوم الشعبية في إطار رؤية الطبقات الاجتماعية التي حافظت على الشعر الشعبي عبر تاريخ طويل، وأضافت إليه في كل مرحلة أنماطا من التغيير حسب ظروفها، وأوضاعها، ومزاجها وذوقها »[27]، فالشعبية ظاهرة اجتماعية يشترك فيها مجموعة من أفراد المجتمع، وتأخذ هذه الجماعة صفة الشّعب، وما يتميّز به من قيم ومعارف..، وعلى هذا الأساس فالشعر الشعبي مرتبط بذوق وثقافة المجتمع في تاريخ محدّد، وواقع يفرض سلطته الثقافية، مثل الأغاني السياسية والرّياضية المنتشرة في زماننا يؤلفها متعلّمون، وجمهورها متعلّم، إلاّ أنّ لغتها شعبية كون الذوق الشعبي يريد ويفضل ذلك، ويذهب في هذا الرأي أحد الدّارسين بقوله: « معنى هذا أنّ الشعبي هو في حقيقته فضائل من الأدب الرسمي أو الأدب العامي، استطاعت أن تحوز صفات خاصة في ظروف بيئية معيّنة »[28]، والمتصفّح لقصائد شعبية قديمة يجد لغة فصيحة في عمومها، والنص يشكل بنية فنية قيّمة في البلاغة والجمال اللغوي والخيال الواسع، والتّصوير الدقيق لواقع المجتمع، وتطلعات أفراده، هذا ما يتميّز به الشاعر الشعبي، كما ورد في قصيدة الشاعر " المنداسي":

سولّت الحي عندها شدّوا الأضعان وقفوا مقدار نفس وساروالين مشاوا

ما عطفوا شيء علي وهم غصون البان ولا التفتوا عجبي وين امساوا[29]

فالشعر الشعبي كان ولا يزال ديوان الأمّة، فهو أمين ثقافات الأمم وسفيرها عبر الأجيال المتعاقبة وناقل وحافظ لقيمها وتراثها وتاريخها..، يربط ماضيها بحاضرها، مساهما في تكوين وتشكيل الوعي الجمعي للأمّة، ومهما قيل عن الشعر الشعبي وعلاقته بثقافة مجتمع ما، فيبقى وسيلة تعبير صادقة صامدة ملازمة لواقع الشعوب وتطوراتها المتواصلة المستمرة عبر التاريخ، مع أنه يسهم في اكتساب الفرد لثقافته الشعبية، لاسيما وأن الشعر الشعبي جزء من ثقافة المجتمع، والفرد أثناء تنشئته الاجتماعية يكتسب الصفات الإنسانية التي بدورها تشارك في تكوين شخصيته فالدكتور جابر بني جودة يقول: « التنشئة الاجتماعية هي أن يتعلّم الفرد كيف يصبح عضوا في مؤسسته وأسرته، وهي عملية اكتساب العقل صفة إنسانية من خلال ثقافة المجتمع في بناء شخصيته »[30]، فالفرد يتفاعل مع الشركاء الاجتماعيين فيكتسب منهم صفات إنسانية أنتجتها ثقافة المجتمع، وكل فرد يعتبر عضوا فعالا في مؤسسة

المجتمع المؤطّرة بنظام عام تحكمه المبادئ والقيم الاجتماعية النابعة من تراث المجتمع الذي يشمل: القيم الدينية والأعراف والعادات والتقاليد والآداب...فهذه المقوّمات التي تعتبر عناصر أساسية في تكوين شخصية الفرد تتدخل في تكوين وإثراء الرصيد القيمي لدى الفرد، وتحديد نظرته للأشياء وإصدار الأحكام عليها، وتأهيله اجتماعيا، حتى يكتسب صفات شخصية خاصة به، قاعدتها الأساسية النّظام العام للجماعة، للقيام بدوره كعضو فاعل ومشارك له دوره في المجتمع، في حدود المبادئ والأعراف العامّة للمجتمع.

الخـــــــــاتمة:

بعد استعراضنا لأهم العناصر المترابطة المتداخلة المكونة للثقافة الشعبية، وتوضيح العلاقة التي تربط الشعر الشعبي بهذه العناصر الثقافية، فإنه من الممكن رفع اللبس عن الشعر الشعبي بوصفه أدب الأميّين، وشعر الطبقة غير المثقفة، متدنية المستوى الثقافي ممّا جعل البعض يتحرّج من البحث فيه، والغوص في أعماق مضامينه الثريّة، المنبثقة من قيم ومبادئ شعوب الأمم المتعاقبة عبر الأزمنة المختلفة، التي أورثت الشعوب الحالية إرثا ثقافيا ثريّا تستقي منه مقومات الاستمرار والبقاء، وأنّ ما قيل عنه يتفاوت نسبيا في درجات الصّحة والصواب، ونلخّص نتائج البحث في الآتي :

- إن القول بذيوع الشعر الشعبي وانتشاره المذهل مردّه إلى انحطاط الثقافة الشعبية وضعف مستواها الثّقافي، قول باطل بالأدلة المقدمة في عرض البحث.
- إنّ لفظة الشعبية لا تعني الشعبوية والعامية، بل تعني عموم الشعب، كونه نتاج الشعب ولسانه.

- إن قصائد الشعر الشعبي تتصل اتصالا وثيقا بالفصحى، فكثيرا ما نجد قصائد شعبية، رغم أنها لا تراعي القواعد الإعرابية إلا أنها ترتبط روحيا بالشعر الفصيح، ويدل على ذلك ألفاظها المنتقاة وتركيب عباراتها.

- مؤلفوه (الشعر الشعبي) كثير منهم ضليع في الفصحى، والواقع والأبحاث تثبت ذلك.

- إنّ نصوص الشعر الشعبي تحمل قيما ومعارف وخبرات وملاحم، تزخر بتراث حضارات سابقة، يستقي منها الجيل الناشئ قيمه وعناصر ثقافته، وثوابت هويته، لخير دليل على ملاءمته ومسايرته ونديته لثقافة المجتمع ورقيه بها.

إنّ الشّعر الشعبي كان ومازال ديوان الشعب وذوقه، ولسان حاله، وصورته الثقافية عبر الأزمنة المتعاقبة.

8. الهوامش :[31]

[1]– سلمى الخضراء، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1997، ص:91.

[2]– يوري سوكولوف: الفلكلور قضاياه وتاريخه، ت: حلمي شعراوي، وعبد الحميد حواس، شركة الأمل للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، 2000، ص: 39.

[3]– التلي بن الشبخ، دور الشعر الجزائري في الثورة من 1880–1945، مخطوط 1977، ص: 395

[4]– الأدب الشعبي العربي: مفهومه ومضمونه، دار الأدب العربي للطباعة،1972، ص:49.

[5]– المرجع نفسه، ص: 51.

[6]– ينظر: عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 265.

[7]– عبد الحميد بورايو، في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات، ط1، دار أسامة للطبع والنشر، ص: 11–12.

[8]– أبو حاتم نبيل: اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، د.ط، دار الثقافة، قطر، 1985، ص358.

[9]– محمد الحبيب حشلاف، الأشكال في الأغاني والأهازيج الشعبية أو مايعرف لدى العامّة ب (علم التجنيس)، محاضرة، اللقاء الأول حول الشعر الشعبي الملحون، 26–1986/11/27، المكتبة الجهوية، وهران، ص: 13.

[10] : الخهازن، منير وهبة، الزجل تاريخه أدبه أعلامه قديما وحديثا، المطبعة البوليسية، حريصا، لبنان، 1952، ص11.

[11] – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، مادة (ثقف).

[12] – ابو عبد الله محمد سلام الجمحي، ص 02.

[13] – المسألة الثقافية، من اجل بناء نظرية الثقافة، زكي الميلاد، ص23.

[14] –– children's Britannia, 162. E, 1969, p92.

[15]– مالك بن الحاج عمر نبي، حياته وفكره، د/ عبد الله بن حمو العويسي، ص51.

[16] – صورة المراة في الامثال الشعبية: المراة في مؤسسة الزواج كنموذج، فوزي بوخريص نسخة محفوظة 2017 /12/11 على موقع واي باك.

[17] – د/ سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، بحيث في كل علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص 35.

[18] – عبد الباسط عبد المعطي، الثاقفة الشعبية والوعي التاريخي، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، العدد 14، ص 1992، مصر، ص: 07.

[19] – عبد الحميد بوسماحة: الموروث الشعبي مفاهيم.... مقاربات حول اشكالية المصطلح، الملتقى الوطني الموروث الشعبي وقضايا الوطنية، اصدارات رابطة الفكر والابداع....، 2006، ص :19.

[20] – المرجع نفسه، ص: 35.

[21] – ينظر: يوسف حسن مدني، ص :10.

[22] – عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة الى العولمة، ص 31.

[23]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، بيروت، ص: 311.

[24]–أبو راس: مقدمة شرح العقيقة، مخطوط، باريس، ورقة 2.

[25]–مالك بن نبي: مشكلة الثقافة (الحرفية في الثقافة)، دار الفكر، الجزائر، 2000، ص: 22.

[26]– ينظر: عبد الحق زريوح: دراسات في الشعر الجزائري الملحون، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2008، وهران، الجزائر، ص: 36-37.

[27]– التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي في الثورة: 1830-1945، ص: 371.

[28]– محمود ذهني: الأدب الشعبي العربي: مفهومه ومضمونه،دار الأدب العربي للطباعة،1972، ص: 49.

[29]– ديوان المنداسي، تقديم وتحقيق : محمد بخوشة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص: 109.

[30]– أوفيل برم وستانتون ويلر، ت: علي الزغل، التنشئة الاجتماعية بعد الطفولة، دار الفكر، عمان، ب.ت، ص:09.